البلاغ المبين في القرآن الكريم وتوظيفه في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر

The Clear Message in the Glorious Qur'an and its Employment in Developing Contemporary Da'wah Discourse

إبراهيم عبد الولي عبده البحري [1]
Ebrahim Abdul-Wali Abduh Al-Bahri

https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.114

(1) أستاذ التفسير وعلومه المساعد – جامعة إقليم سبأ .
عنوان المراسلة : (ebr714295265@gmail.com)

الملخص

يُعَدُّ مفهوم البلاغ المبين من المفاهيم القرآنية الأساسية في العمل الإسلامي، إذ يتكرر ذكره في القرآن الكريم، باعتباره جوهر مهمة الرسل – عليهم السلام– ومع ذلك لم يحظَ بالدراسة الكافية، مما أدى إلى غياب مفهومه عند كثير من القائمين بعملية الدعوة إلى الله تعالى، حتى ظن البعض بأنه مجرد كلمات تكتب، أو خطب تشحن مشاعر الناس بالحماس، دون النظر إلى ضرورة أن يكون البلاغ مبينًا، تبرأ به ذمة المبلِّغ، وتقوم به الحجة على المبلَّغ، ومن هنا، تأتي أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى دراسة مفهوم «البلاغ المبين»، كما ورد في القرآن الكريم، وتحليل خصائصه وأساليبه، وبيان كيفية توظيفها في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر.

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، ويتناول الموضوع من خلال مبحثين رئيسين، الأول: مفهوم البلاغ المبين في القرآن الكريم، وخصائصه، وأهميته، والأخير: أساليب البلاغ المبين في القرآن الكريم، وكيفية توظيفها في الخطاب الدعوي المعاصر، ويركّز البحث على ثلاثة أساليب رئيسة، وظّفها القرآن الكريم في البلاغ المبين لإقناع المخاطبين والتأثير عليهم: الأسلوب الحسي: القائم على المشاهدات والتجارب المحسوسة، والأسلوب العقلي: الذي يعتمد على الحجة والمنطق والاستدلال، والأسلوب العاطفي: الذي يخاطب القلوب والمشاعر والوجدان، وتوصّل البحث إلى عدة نتائج مهمة، أبرزها: حاجة الدعاة والمؤسسات الدعوية إلى فهم خصائص البلاغ المبين وأساليبه، والحرص على تطبيقها في الخطاب الإسلامي، وضرورة إعادة النظر في أساليب الخطاب الدعوي المعاصر، بحيث يكون واضحًا، مقنعًا، ومتدرجًا، وفقًا لمنهج القرآن الكريم، وأن «البلاغ المبين» ليس مجرد إيصال للمعلومة، بل هو خطاب متكامل يجمع بين البيان القوي، والحجة الواضحة، ومراعاة حال المخاطبين، مع تقديم القدوة الحسنة، وامتلاك الأساليب القرآنية، قدرةً على مواجهة التحديات الفكرية والاجتماعية، مما يجعلها نموذجًا يمكن تفعيله في الواقع المعاصر، من خلال توظيف الوسائل الحديثة، والاستفادة من الإعلام والتقنية، لتعزيز الفاعلية الدعوية، ومواكبة المتغيرات، والتصدي للتحديات الراهنة.

الكلمات المفتاحية:

البلاغ المبين، الخطاب الدعوي المعاصر.

Abstract:

The concept of the Clear Message (al-balāgh al-mubīn) is one of the essential Qur'anic concepts in Islamic work. It is frequently mentioned in the Glorious Qur'an as the core mission of the messengers—peace be upon them. However, it has not received sufficient study, leading many of those who are involved in the calling (Da'wah) to Allah to assume that it is merely about writing words or delivering sermons that stir people's emotions enthusiastically, without realizing the necessity for the Message to be clear, in a way that fulfills the responsibility of the messenger and establishes the proof upon the audience. The research aims to study the concept of the Clear Message (al-balāgh al-mubīn) as presented in the Glorious Qur'an, analyze its characteristics and methods, and demonstrate how it can be utilized in developing contemporary Da'wah discourse. The study uses the inductive analytical approach and addresses the subject through two main sections: The first discusses the concept of the Clear Message (al-balāgh al-mubīn) in the Glorious Qur'an, its characteristics, and its significance. The second focuses on the methods of the Clear Message (al-balāgh al-mubīn) in the Glorious Qur'an, and how they can be employed in contemporary da'wah discourse. The study focuses on three primary methods employed by the Glorious Qur'an in the Clear Message (al-balāgh al-mubīn) to persuade and influence audiences: sensory method, based on tangible observations and experiences; rational method, that relies on evidence, logic, and reasoning; emotional method, which addresses hearts, feelings, and emotions. The study arrives at several important findings, among which are: preachers and Da'wah institutions need to understand the characteristics and methods of the Clear Message (al-balāgh al-mubīn), and strive to apply them in Islamic discourse and contemporary Da'wah; this requires a reconsideration of contemporary Da'wah methods, so that the discourse becomes clear, persuasive, and gradual, in line with the Qur'anic methodology. It also concludes that the Clear Message (al-balāgh al-mubīn) is not merely about conveying information, but rather a comprehensive discourse that combines strong expression and clear argumentation; and considering the audiences' circumstances, presenting a good role model, and possessing the Qu'anic methods and the ability to face intellectual and social challenges. This makes it a model that can be activated in the modern context by utilizing modern tools and benefiting from media and technology to enhance Da'wah effectiveness and keep up with ongoing changes and current challenges.

Keywords: The Clear Message (al-balāgh al-mubīn), Contemporary Da'wah Discourse

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب؛ ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي أُوتي جوامع الكلم، فكان أفصح الناس لسانًا، وأعظمهم بيانًا، وبعد:

فإن كثيرًا من المفاهيم القرآنية- وبخاصةٍ ما كان منها في ميدان العمل الإسلامي- لم تسلط عليها الأضواء، بل ما زالت مجهولة من قبل الكثيرين، مع أنها تقع في قمة الأولويات الدعوية، وتحتل مكان الصدارة فيها.

من هذه المفاهيم: مفهوم البلاغ المبين في سبيل إيصال دعوة الحق إلى الخلق، ذلكم المفهوم الذي تكرر في القرآن الكريم كثيرًا، وجعله الله تعالى الغاية من إرسال الرسل.

لقد غُيِّب هذا المفهوم من بين ما غيب من مفاهيم الإسلام وتعاليمه، حتى ظنَّ الكثير من القائمين به بأنه مجرد كلمات تكتب، أو خطب تشحن مشاعر الناس بالحماس، دون النظر إلى ضرورة أن يكون البلاغ مبينًا، بيانًا تبرأ به ذمة المبلِّغ، وتقوم به الحجة على المبلَّغ، وبغياب هذا المفهوم، ضعف أثره في الحياة الإسلامية العملية، وأصيبت الشخصية الإسلامية بإصاباتٍ وعلل أفقدتها ربانيتها، وفاعليتها، وأقعدتها عن أداء رسالتها، وصارت مهددة بفقدانها لهويتها وخصوصيتها، في عالم مليء بالصراعات الثقافية، والأطماع السياسية.

وفي ظل الآمال المبشرة بالعودة إلى القرآن، والاهتداء به في تسيير شؤون الحياة، يحاول الباحث كشف أبعاد مفهوم «البلاغ المبين» في القرآن الكريم، كمحاولة للارتقاء بمهمة الدعاة إلى الله، الذين تقع على عواتقهم عملية إصلاح المجتمعات، وتحقيق النهوض الحضاري؛ مع بيان كيفية الاستفادة منه في الخطاب الدعوي المعاصر؛ ولكي يتسنى للباحث ذلك فلابد من تسليط الضوء على الموضوع بطريقة علمية؛ عسى أن يخرج بعد ذلك من الإطار النظري الذي نقبع فيه حاليًا إلى الميدان التطبيقي العملي، سلوكًا يعيشه الدعاة، وواقعًا تطبيقيًا يمارسونه في الدعوة إلى الله.

هذا وسيعالج الباحث الموضوع من خلال مقدمة ومبحثين ثم الخاتمة، والله تعالى أسأل أن يمدني بعونه وأن يجنبني فيه — وفي غيره — الزلل، وأن يحقق ما قصدته من القيام به والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

مشكلة البحث:

يُعد البلاغ المبين المهمة الأساسية التي بعث من أجلها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والمسؤولية التي يحملها أتباعه من بعده، ومع ذلك، فقد طرأ عليه مفاهيم خاطئة في بعض الأوساط الدعوية، حتى ظن البعض بأن مجرد رفع الصوت، وفصاحة اللسان، والقدرة على إثارة الحماس بلاغًا مبينًا، دون تحقيق المعنى الحقيقي للبلاغ الواضح المقنع.

ومن هنا برزت الحاجة الملحّة إلى دراسات علمية، تسعى إلى استجلاء المفهوم الصحيح للبلاغ

المبين، خصائصه، وأساليبه، وتبرز دوره وأثره في تقديم رسالة الإسلام بشكلٍ واضحٍ ومؤثر، يراعي متغيرات العصر، ومستجداته.

أسباب اختيار البحث:

- **أهمية البلاغ المبين:** كونه أحد المفاهيم الأساسية في الدعوة الإسلامية، والذي أُغفل دوره بشكلٍ كبير في الخطاب الدعوي المعاصر.

- **الافتقار لدراسات متخصصة:** على الرغم من كثرة الدراسات القرآنية، إلا أن مفهوم البلاغ المبين لم يُدرس بشكلٍ مستقل.

- **الحاجة إلى خطاب دعوي فعّال:** يواكب العصر، ويعكس رسالة الإسلام بوضوح، مع مراعاة التحديات الفكرية والاجتماعية الراهنة.

- **تعزيز فاعلية الدعاة:** عبر تقديم أدوات وأساليب مستلهمة من القرآن الكريم، تساعد في توجيه الخطاب الدعوي بوضوحٍ وتأثير.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه الدراسة من أهمية البلاغ المبين في القرآن الكريم، باعتباره أسلوبًا فريدًا؛ لتوصيل الرسالة الإلهية، بوضوح وإقناع، ثم في أهمية إعادة توجيه الخطاب الدعوي المعاصر، ليعتمد على أساليب البلاغ المبين؛ كما جاءت في القرآن الكريم، مما يعزز مكانته، ليكون أكثر انسجامًا مع القيم الأصيلة للإسلام، وأكثر قدرة على معالجة قضايا العصر، ومواجهة التحديات الراهنة.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1 - إبراز مفهوم البلاغ المبين.
2 - استعراض أساليب البلاغ المبين، في ضوء النصوص القرآنية.
3 - بيان كيفية توظيف أساليب البلاغ المبين في القرآن الكريم في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر.

الدراسات السابقة:

بذل الباحث وسعه في البحث عن دراسات حول الموضوع، فلم أظفر بشيءٍ يذكر، فاكتفيت بكتب التفسير، وبالكتب العامة التي تتحدث عن الدعوة، وأصولها.

منهج البحث:

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي؛ لتوضيح مفهوم البلاغ المبين، ودراسة تطبيقاته في النصوص القرآنية.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة:

المقدمة: بينت فيها مشكلة البحث وأسباب الاختيار، والأهمية والأهداف، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

المبحث الأول: البلاغ المبين وخصائصه، وجعلته في ثلاثة مطالب، الأول: تحدثت فيه عن تعريف البلاغ المبين في اللغة والاصطلاح، والمطلب الثاني: تحدثت فيه عن أهمية البلاغ المبين، والمطلب الثالث: تحدثت فيه عن خصائصه.

المبحث الثاني: أساليب البلاغ المبين في القرآن الكريم، وتوظيفها في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر، وجعلته في ثلاثة مطالب، الأول: الأسلوب الحسي، وتوظيفه في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر، والثاني: الأسلوب العقلي، وتوظيفه في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر، والثالث: الأسلوب العاطفي، وتوظيفه في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر.

المبحث الأول: البلاغ المبين، وخصائصه

المطلب الأول: تعريف البلاغ المبين في اللغة والاصطلاح

البلاغ المبين لفظ مركب من مصطلحي: «البلاغ» و «المبين»، وعليه فسيتم التعريف بكل مصطلح على حدة، ثم يتم التعريف بعد ذلك بـ: "البلاغ المبين" محل البحث.

أولًا: تعريف البلاغ المبين:

تعريف البلاغ المبين باعتباره مركبًا من كلمتين، فإن هذا يحتاج إلى تعريف كلمة البلاغ، وكلمة المبين، ثم يتم تناول المركب كمفهوم بالتعريف.

أ- تعريف البلاغ في اللغة والاصطلاح:

مأخوذ من مادّة (ب ل غ) الّتي تدلّ على الوصول إلى الشّيء المطلوب، ومن ذلك: بلغت المكان إذا وصلت إليه، ومن هذا الباب قولهم: هو أحمق بِلْغٌ وَبَلْغٌ، أي أنّه مع حماقته يبلغ ما يريده، وقولهم: البلاغة الّتي يمدح بها الفصيح، لأنّه يبلُغ بها ما يريده، والبلوغ والبلاغ: الانتهاء إلى أقصى المقصد، والمنتهى مكانًا كان أو زمانًا أو أمرًا من الأمور المقدّرة، والبلاغ يطلق، ويراد به التبليغ في نحو قوله عز وجل: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم:52]، ويراد به الكفاية، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء:106]، ويطلق ويراد به الإبلاغ: أي الإيصال، وكذلك التّبليغ، يقال بلّغت الرّسالة[1].

وهو في الاصطلاح: أن يبلِّغ الداعية كلّ ما أمر بتبليغه، فلا يخفي منه شيئًا، ولا يكتمه بحال من

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة للرازي (1/302)، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (144)، ولسان العرب لابن منظور (8/419).

https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.114

الأحوال[1].

ب- تعريف المبين في اللغة والاصطلاح:

المبين في اللغة: من أبان الشيء، فهو مبين، وأبنته: أي أوضحته، وتبين الشيء ظهر، والتبيين: الإيضاح، وهو أيضًا الوضوح[2].

وهو في الاصطلاح: الذي يبين عن معناه لمن أبلغه، ويفهمه من أرسل إليه[3].

ثانيًا: تعريف البلاغ المبين مركبًا:

"البلاغ المبين» كلمتان قرآنيتان، وردتا في كتاب الله تعالى في سبعة مواضع، كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النحل:35]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور:54].

ولقد حرر المفسرون – رحمهم الله – مفهوم البلاغ المبين، تحريرًا بالغًا، فذهب الإمام ابن جرير إلى أن البلاغ المبين هو: «الذي يبين للناس عما أراده الله، بيانًا يتضح معناه لمن أبلغه، ويفهمه من أرسل إليه»[4]، ويرى الزمخشري بأن البلاغ المبين هو: «تبليغ الحق بالبيان والبرهان الشاهد لصحته، بلاغًا ظاهرًا مكشوفًا، يزول معه الشك؛ لاقترانه بآيات الله ومعجزاته»[5].

وهو عند الإمام الرازي: «التبليغ الظاهر، والبيان البائن، الواضح والموضِّح لما بالناس إليه الحاجة»[6]، وقال: «البلاغ هو ذكر المسائل، والإبانة هي إقامة البرهان عليه»[7].

ويرى الإمام النسفي بأن البلاغ المبين هو: «التبليغ الظاهر البين للحلال والحرام، والوعد والوعيد، والإخلاص والتوحيد، بيانًا يزيل الشك، وينفع القلوب، لكونه مقرونًا بآيات الله ومعجزاته، وليس فيه ضرر يسبب التولي»[8].

ويرى الإمام الشوكاني بأن البلاغ المبين، هو: «الظاهر الظهور الواضح»[9]. وذهب السعدي إلى أن البلاغ المبين، هو: «البين الظاهر الذي يصل إلى القلوب، ولا يبقي لأحد على الله حجة ولا شكًا

---

(1) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، لعدد من المختصين (876/3).
(2) مختار الصحاح للرازي (43).
(3) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (17/201).
(4) جامع البيان لابن جرير (14/216)، (19/207).
(5) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (2/605)، (3/447)، (4/9).
(6) مفاتيح الغيب للفخر الرازي بتصرف. (412/24).
(7) المرجع السابق (39/25).
(8) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (2/ 515،627).
(9) فتح القدير للشوكاني (4/418).

ولا شبهةً»[1].

أما الطاهر ابن عاشور، فيرى بأنه: «البلاغ الواضح دلالة، وهو الذي لا إيهام فيه ولا مواربة»[2].

وبعد هذا العرض، يمكن القول بناء على معنى البلاغ المبين في اللغة وفي كلام المفسرين – رحمهم الله – بأن المقصود من البلاغ المبين هو: إيصال رسالة الله إلى الناس، بطريقة واضحة وجلية، تستند إلى الأدلة والبراهين الواضحة، بحيث يصل المعنى مفهومًا لا لبس فيه، ويكون ذلك بأسلوب مناسب ومؤثر، يجنب سوء الفهم أو الاعتراض.

المطلب الثالث: خصائص البلاغ المبين

سبق القول بأن البلاغ المبين هو: إيصال رسالة الله إلى الناس، بطريقة واضحة وجلية، تستند إلى الأدلة والبراهين الواضحة، بحيث يصل المعنى مفهومًا لا لبس فيه، ويكون ذلك بأسلوب مناسب ومؤثر، يجنب سوء الفهم أو الاعتراض.

ومن خلال التعريف، يمكن القول أيضًا بأن البلاغ يكون مبينًا، إذا توفرت فيه الخصائص التالية:

1 - الوضوح والجلاء.
2 - تقديم الأدلة والبراهين.
3 - اختيار الأسلوب المناسب.
4 - تحقيق الهدف من الرسالة.
5 - مراعاة حال المبلغين والتدرج معهم؛ لتجنب سوء الفهم والاعتراض.

إن المتأمل في القرآن الكريم يجده قد أشار إلى هذه الخصائص كلها، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل:125]، وفي قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [يوسف:108]، ففي هاتين الآيتين أمر الله تعالى بالدعوة إليه بالحكمة، والموعظة الحسنة والجدل بالتي هي أحسن، وهذه المذكورات كلها تشمل العلم، والوضوح، وتقديم البراهين، واختيار الأسلوب، والتدرج، قال ابن عاشور: الحكمة: «اسم جامع لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم، إصلاحًا مستمرًا لا يتغير، فهي إتقان العلم، وإجراء الفعل على وفق ذلك العلم[3]»، قال السعدي: «الدعوة بالحكمة أن تدعو كل أحد، على حسب حاله، وفهمه، وقوله، وانقياده، ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين[4]»،

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (572،444).
(2) التحرير والتنوير لابن عاشور (22/362).
(3) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (61/3) و (374/14).
(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (452).

فالحكمة إذن تشمل المعرفة، والعمل بها، ووضع الأمور في موضعها الصحيح، وأما الموعظة، فهي القول الذي يليّن نفسَ المقولِ له لعمل الخير، وهي أخص من الحكمة؛ لأنها حكمة في أسلوب خاص لإلقائها، ووصفها بالحسن تحريض على أن تكون لينة مقبولة عند الناس، أي حسنة في جنسها، وعطَف الموعظة على الحكمة؛ لأنها تغاير الحكمة بالعموم والخصوص الوجهي، فإنه قد يسلك بالموعظة مسلك الإقناع، فمن الموعظة حكمة، ومنها خطابة، ومنها جدل[1]، ينتقل الداعي إلى الموعظة الحسنة مع المدعو إذا لم ينتفع بالحكمة، فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلًا ونقلًا، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق، لا المغالبة، ونحوها[2]، والملاحظ في الآية التأكيد على حسن اختيار الأسلوب مع المبلِّغ، بوصف الموعظة بالحسنة، ووصف المجادلة بالتي هي أحسن، والموعظة الحسنة هي التي تدخل إلى القلوب برفقٍ، وتتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية، والجدل بالتي هي أحسن هو الذي لا تحامل فيه على المخالف، ولا ترذيل له، ولا تقبيح[3].

أما البصيرة التي أشارت إليها الآية الثانية، فمعناها: أن يكون الداعية إلى الله عالمًا بما يدعو إليه، وعالمًا بحال المدعوين، وإيصال ما يصلح لهم وينفعهم، وعالمًا أيضًا بطريقة الدعوة إلى الله تعالى، مؤطرًا كل ذلك بالنصوص الشرعية، مع الأخذ بالأساليب والوسائل الشرعية المتاحة، وترك الوسائل المنهي عنها[4]، والبصيرة بهذا المفهوم، تشمل تلك الخصائص التي يكون بها البلاغ مبينًا، على أن بعض العلماء لا يعتبر البصيرة شيئًا منفصلًا عن الحكمة، بل درجة من أعلى درجاتها، تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر[5]، وبهذا تكون الحكمة والبصيرة إطار جامع يوجه الداعية إلى الله عند عملية البلاغ؛ لاستعمال كل تلك الخصائص بشكلٍ معتدلٍ ومتزن، ومع كل المخاطبين باختلاف أجناسهم وثقافاتهم، باعتبار عالمية الرسالة، وهذا يوجب على القائمين بعملية البلاغ المبين فهم العالم بأديانه، وثقافاته، وتاريخه، وحاضره، ومشكلاته وتحدياته، وهذا كله من الحكمة والبصيرة، ومن مدلولات قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [إبراهيم:4]، ومن مدلولات قوله تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران:79]، أي حكماء علماء[6].

(1) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (61/3) و (374/14).
(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (452).
(3) في ظلال القرآن لسيد قطب (4/2202).
(4) البصيرة في الدعوة إلى الله للعنزي (17).
(5) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (2/451).
(6) جامع البيان للطبري (6/540).

المطلب الثاني: أهمية البلاغ المبين

لا يشك أحد من أهل العلم ورواد الإصلاح بأن استرداد خيرية الأمة، وترشيد العقل المسلم بهدايات الوحي، وإحياء وعي المسلم بدينه، مرهونًا بالبلاغ المبين، وما يوليه القائمون عليه من اهتمام ورعاية؛ ولذلك فإن فهم البلاغ المبين، وإدراك خصائصه وأساليبه وأبعاده، والصبر عليه، والحكمة في أدائه، والقدرة على إنضاج وسائله، وما يمكن أن يترتب عليه من مسؤوليات وتكاليف، قضية على غاية من الأهمية، يمكن بيانها في أمورٍ، منها:

1 - **وضوح الرسالة، وتيسير الفهم:**

البلاغ المبين يعتمد على إيصال المعاني بوضوح وبأسلوب يفهمه المخاطب، دون لبس أو تعقيد، وهذا يساعد في تحقيق الغاية من الخطاب الدعوي، وهي إيصال الحقائق الإيمانية بأسلوب يقبله العقل والقلب، ولهذا كان يرسل الله تعالى إلى كل أمة رسولًا منهم؛ ليكون أقدر على فهمهم وإفهامهم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم:107].

2 - **مراعاة حال المخاطب:**

عالمية الإسلام تقتضي أن يراعي البلاغ المبين واقع الناس، واختلاف مستويات المعرفة والثقافات بينهم، فيكون الخطاب بسيطًا للأمي، وعميقًا للعالم، وملائمًا لكل ظرف، وزمان، ولعل تنوع القرآن من حيث مكان نزوله إلى مكي ومدني ما يدل على هذا، والفرق بينهما في المقاصد والخصائص معروف، كل ذلك رحمة بالناس، ومراعاة لأحوالهم، وتدرجًا في تربيتهم[1]، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:107].

3 - **تحقيق الهداية والإقناع:**

أسلوب البلاغ المبين يسهم في إيصال الحجج والبراهين بطرق منطقية ومؤثرة، مما يقود المخاطب إلى الاقتناع بالحق واتخاذ الموقف المناسب، قال الله تعالى: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٖ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الجاثية:6]، أي: تلك آيات الله يعني: القرآن بما فيه من الحجج، والبينات، نتلوها عليك بالحق، أي: متضمنة الحق من الحق، فإذا كانوا لا يؤمنون بها ولا ينقادون لها، فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون؟ فإن أي كلام لن يبلغ كلام الله في القرآن، وإن أية حقيقة لن تبلغ حقيقة الله في الثبوت والوضوح واليقين[2].

4 - **تقديم القدوة الدعوية:**

القرآن الكريم يقدم من خلال البلاغ المبين نموذجًا متكاملًا ومنهجًا واضحًا، في كيفية الخطاب

(1) مناهل العرفان للزرقاني (1/55).
(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (7/244)، وفي ظلال القرآن لسيد قطب (5/3224).

https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.114

الدعوي، في ظل التحديات الفكرية والثقافية المعاصرة، وذلك يساعد في تقديم خطاب دعوي، يواكب المتغيرات، ويواجه الشبهات، ولعل في النَّسْخ في القرآن الكريم، بما فيه من التدرج في التشريع، مراعاة لمصالح العباد في العاجل والآجل؛ ما يمكن أن يكون قدوة دعوية، من خلال البيان العملي بأن من الأمور التكليفية ما يصلح في وقتٍ دون وقت، وفي حالٍ دون حال، وأن ذلك من الحكمة التي أخذ الله عباده بها، فوضع لهم من التشريعات ما يناسبهم على اختلاف درجاتهم وبيئاتهم وأحوالهم[1].

5 - براءة ذمة المبلغ، وقيام الحجة على المبلغ:

لا تبرأ ذمة المبلغ ما لم يكن بلاغه مبينًا، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:67]، أي بلغ بلاغًا كاملًا متممًا، ثم توعده تعالى: إن تركت شيئًا، ولم تستوف، فكأنما قد تركت الكل، وصار ما بلغت غير معتدٍّ به[2]، ولا تقوم الحجة على المدعوين، إلا إذا كان البلاغ الذي وصلهم مبينًا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:115]، قال الفخر الرازي: «بين تعالى أنه لا يؤاخذهم بعمل إلا بعد أن يبين لهم أنه يجب عليهم أن يتقوه، ويحترزوا عنه»[3]، والمراد بهذا البيان كما قال ابن القيم: «هو ما كان فيه تبيين الحق وتمييزه من الباطل بأدلته وشواهده وأعلامه، بحيث يصير مشهودًا للقلب، كشهود العين للمرئيات، وهذه المرتبة هي حجة الله على خلقه، التي لا يعذب أحدًا، ولا يضله إلا بعد وصوله إليها»[4]، فالحجة على العباد إنما تقوم بشرط التمكّن من العلم بما أنزل الله، فمن انقطع عنه العلم ببعض الدين، كان كمن انقطع عنه العلم بجميع الدين[5]، أي في العذر، فالبلاغ المبين شرط في إقامة الحجة؛ ليفهمه المبلَّغ؛ وإلا كان بمنزلة الأصم الذي لا يسمع شيئاً، ولا يتمكن من الفهم[6].

6 - البلاغ المبين وسيلة الدعوة الكبرى:

البلاغ المبين من أهم الوسائل لنشر الدعوة إلى الله[7]، والوصول بها إلى تحقيق هدفها المنشود[8]، بل هو الجسر الرابط بين رسالة الإسلام وبين الناس، والتاريخ يحدثنا بأن أكثر فترات المسلمين تألقًا وامتدادًا فترة النبوة والصحبة، وفترة المراحل التاريخية التي استطاعت استصحاب روح تلك الفترة، لقد استطاعت

(1) دراسات في علوم القرآن لبكر (289).
(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (2/218).
(3) تفسير القرآن للسمعاني (2/354).
(4) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم (1/66:65).
(5) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (20/60).
(6) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم (414).
(7) الدعوة – كما هو معروف– أعم، والبلاغ المبين أخص، فالدعوة لها صفة العموم، والبلاغ المبين من وسائلها.
(8) نضرة النعيم لمجموعة من المختصين (3/900).

تلك المراحل التاريخية إثارة كوامن التدين، وأحسنت في إيصال الإسلام إلى الناس[1].

7 - **القضاء على المشكلات:**

يساعد البلاغ المبين في القضاء على المشكلات التي تعترض الدعوة والدعاة، بسبب الأساليب الخاطئة، التي تؤدي إلى ردود أفعال غير مرضية من قبل المدعوين، بسبب اللبس وعدم الوضوح.

المبحث الثاني: أساليب البلاغ المبين في القرآن الكريم، وتوظيفها في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر

القرآن الكريم بلاغ الله المبين للبشرية كافة، على اختلاف أجناسهم وعقولهم، وتباين أزمانهم، كما قال الله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ ﴾ [إبراهيم:52]، فهو خطاب موجه إلى جميع الخلق من إنس وجان[2]، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام:19]، ويتضمن هداية شاملة لأصول الحياة البشرية التي لا تتبدل، مستعدًا لتلبية الحاجات المتجددة التي يعلمها خالق البشر[3]، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا﴾[الأنبياء:106]، أي: فيه كفايتهم[4]، ولذلك لم يقتصر القرآن على أسلوب واحد في هذا البلاغ، بل تنوعت أساليبه لتتناسب مع الاحتياجات الفكرية والنفسية للناس، وتراعي الفروق بينهم، ولتخاطب قوى النفوس المؤثرة حيث لكل نفس قوتان: قوة تفكير، وقوة وجدان، وحاجة كل واحدة منهما غير حاجة أختها، فقوة التفكير تعني بالإدراك والتأمل والتحليل، بينما قوة الوجدان ترتبط بالمشاعر والعواطف والإحساس[5]، هكذا يخاطب القرآن الكريم كل القوى الواعية المدركة في الإنسان، بأساليب متعددة، أساليب تخاطب كل حاسة وجارحة في الكيان البشري، وتتجه إلى العقل الواعي كما تتجه إلى الوجدان الحساس[6]، كل هذه الأساليب وغيرها جعلت منه بلاغًا مبينًا، كما قال تعالى عنه: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء:174]، أي كالنور بيّن في نفسه، مبيّن لكل ما أنزل لبيانه، تنجلي لكم الحقائق ببلاغته وأساليب بيانه، بحيث لا يشتبه فيها من تدبره وعقل معانيه، بل تثبت في عقله، وتؤثر في قلبه، وتكون هي الحاكمةَ على نفسه، والمصلِحةَ له

(1) في فقه التدين فهمًا وتنزيلاً لحسنة (10).
(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/523).
(3) في ظلال القرآن لسيد قطب (4/2401).
(4) انظر: الكشاف للزمخشري (3/138)، ومفاتيح الغيب للرازي (22/192)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (2/423).
(5) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية للمطعني (1/418).
(6) انظر: في ظلال القرآن (4/2159:2158).

في عمله[1]، وقد سُمي القرآن نورًا مبينًا؛ لأنه يظهر به الحق, كما تظهر المرئيات بالنور[2].

إن دراسة أساليب القرآن في البلاغ المبين تتيح للدعاة إلى الله فهم كيفية إيصال القرآن للحقائق الإيمانية والأخلاقية بطريقة واضحة فعّالة، كما تتيح لهم فرصة الاقتداء به في حركة الدعوة المعاصرة؛ ليكون بلاغهم مبينًا، ذلك بأن القرآن كان –ولا يزال– محور التفكير، ومحرك الإبداع والإنتاج ومصدر التشريع والمعرفة والفاعلية ومحاولة الارتقاء، فهو الخطاب السماوي الأخير للبشرية، إليه انتهت أصول الرسالات السماوية، وكمل به الدين الإنساني العالمي[3]، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:16:15]، وبالنظر إلى موضوع أساليب القرآن الكريم في البلاغ المبين، فيمكن من خلال الاستقراء والتدبر، استكشاف هذه الأساليب التي يمكن إجمالها في ثلاثة أساليب: الأسلوب الحسي، والأسلوب العقلي، والأسلوب العاطفي.

وهذا التقسيم يعود إلى أسباب منهجية وموضوعية، ترتبط بطبيعة القرآن الكريم وخطابه الذي يخاطب جميع البشر، على اختلاف قدراتهم العقلية والنفسية والثقافية، كما أن هذا التقسيم ينسجم مع طبيعة النفس البشرية، ومن الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى أن هذه الأساليب تتداخل وتتكامل في تحقيق البلاغ المبين، فما هو حسي قد يكون حسيًا في إثارة الحواس، من خلال تصوير الأحداث، وهو نفسه أسلوب عقلي، من خلال التفكير في استخلاص العبرة، وقد يكون عاطفيًا، من خلال الإثارة الوجدانية.

وإزاء هذه الأساليب المتنوعة، كان لابد من الوقوف عندها بالتحليل والدراسة لاستجلاء أثرها في تحقيق الغاية العظمى من البلاغ، وهي إيصال الحق بأكمل صورة وأوضح أسلوب، ومن هنا يأتي الحديث عن هذه الأساليب الثلاثة بوصفها أهم أساليب البلاغ القرآني، ومنارات يستضيء بها الدعاة في تطوير خطابهم الدعوي المعاصر؛ لتحقيق غايات الدعوة إلى الله، ويحسن قبل الشروع في الكلام عن تلك الأساليب، الإشارة إلى أن الخطاب الدعوي المعاصر، كمركب وصفي، غدت له دلالة معاصرة تتسع – لدى البعض – لتشمل الدعوة الإسلامية بمناشطها المتنوعة، ووسائلها المتعددة، ومناهجها المختلفة[4]، وعرفه البعض بأنه: البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى الناس؛ مسلمين، أو غير مسلمين، لدعوتهم إلى الإسلام، أو تعليمه لهم، وتربيتهم عليه، عقيدة وشريعة، عبادةً ومعاملة، فكرًا وسلوكًا، أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم[5].

(1) تفسير المنار لمحمد عبده (6/82).
(2) النكت والعيون للماوردي (1/547).
(3) من وسائل القرآن في إصلاح المجتمع للصلاحي 127(10)
(4) فقه الأولويات في الخطاب السلفي المعاصر بعد الثورة لمحمد يسري (15).
(5) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة للقرضاوي (15).

المطلب الأول: الأسلوب الحسي وكيفية تطبيقه في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر

الأسلوب الحسي من «الحس»، وهو في اللغة الإدراك بإحدى الحواس الخمس: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس[1]، أما في الاصطلاح، فهو: مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على الحواس، وتعتمد على المشاهدات والتجارب[2].

يبدأ الإنسان التفاعل مع العالم الخارجي، من خلال الحواس الخمس، حيث تستقبل هذه الحواس المعلومات من البيئة المحيطة، وبها تتكون المعرفة الأولية، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل:78]، أي: جعل لكم هذه الأشياء؛ لتحصلوا بها العلم الذي كان مسلوبًا عنكم عند إخراجكم من بطون أمهاتكم[3].

والمتأمل في القرآن الكريم يجده يستعمل هذا الأسلوب كثيرًا؛ ليقرب المعاني إلى الفهم، وذلك بربطها بأشياء ملموسة ومشاهد مألوفة، كما أنه يثير التأمل والتفكر، وحين يرتبط الخطاب القرآني بمشاهد حسية، فإنه يصبح أقوى تأثيرًا، وأكثر إقناعًا للإنسان؛ لأنه يشهد بحواسه على ما جاء به القرآن، ولعل من أوضح الأدلة على هذا ما طلبه إبراهيم -عليه السلام- من ربه في أن يريه كيف يحيي الموتى حسًا؛ ليطمئن قلبه: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ [البقرة:260]، فإذا كان هذا شأن الرسل- عليهم السلام- فإن من سواهم أولى بسوق المحسوسات.

لقد كانت السمة الأولى للتعبير القرآني هي اتباع طريقة تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية، وإبرازها في صور حسية، والسير على طريقة تصوير المشاهد الطبيعية، والحوادث الماضية، والقصص المروية، والأمثال القصصية، ومشاهد القيامة، وصور النعيم والعذاب، والنماذج الإنسانية، كأنها كلها حاضرة شاخصة بالتخييل الحسي الذي يفعمها بالحركة المتخيلة[4]، ومن صور استعمال القرآن الكريم للأسلوب الحسي:

1 - **إبراز المشاهد الكونية**: المتأمل في نصوص القرآن الكريم يجد تركيزًا على النشأة الأولى للإنسان، والأحياء الأخرى في هذه الأرض من نبات وحيوان، وعلى مشاهد هذا الكون وآياته، واتخاذها جميعًا دلائل لإبراز عظمة المخلوقات، وإظهار قدرة الله تعالى فيها، وهذه كلها إن هي إلا طرقات متوالية على الحس[5]، يجدها قارئ القرآن، وهو يقرأ قول الله: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾[الطارق:5]، وقول

(1) مختار الصحاح للرازي (72)، والمعجم الوسيط لمصطفى (173).
(2) المدخل إلى علم الدعوة للبيانوني (214).
(3) فتح القدير للشوكاني (3/219).0
(4) التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب (241).
(5) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3800).

https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.114

الله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ [عبس:24]، وقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية:17:20]، وفي قول الله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:101]، وكذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الجاثية:5:3]، إن تنبيه الحواس لمشاهد الكون في القرآن الكريم، طريقة جديرة بأن تفتح العين والقلب على عجائب هذا الكون، ولو استقبل الإنسان تلك المشاهد الكونية بحس متجدد، ونظرة مستطلعة، وسار في هذا الكون كالرائد الذي يهبط إليه أول مرة، تلفت حسه كل حركة، وتهز كيانه تلك الأعاجيب التي ما تني تتوالى على الأبصار والقلوب والمشاعر؛ لظل أبدًا يذكر يدَ الله فيها، فيتلقاها في كل مرة بروعة الخلق الجديد، وكلها مشاهد لو أعاد الإنسان تأملها بعين مفتوحة وقلبٍ واعٍ، لارتجف كيانه من عظمة الله وقدرته[1]، ولأهمية تأثير إبراز هذه المخلوقات في إقامة الحجة وتثبيت الإيمان وحصول اليقين، قال الله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت:53]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام:75]، أي: «أراه مُلكَ السماوات والأرض، وما خَلقَ فيهما؛ ليكون ممن يقرّ بتوحيد الله، ويعلم حقيقة ما هداه له وبصّره إياه، من معرفة وحدانيته، وما عليه قومه من الضلالة، من عبادتهم الأصنام، واتخاذهم إياها آلهة دون الله تعالى»[2]، وقد عبَّر القرآن بملكوت السماوات والأرض مع أن إبراهيم- عليه السلام- لم يتيسر له رؤية جميع ملكوت السماوات والأرض - على الصحيح - بل المراد بأنه رأى الشمس والقمر والنجوم[3]، وهي دالة على وجود الصانع وقدرته؛ باعتبار أنها محدَثة، وكل محدث محتاج إلى الصانع، وإذا عرف الإنسان هذا، فكأنه قد طالع جميع الملكوت بعين عقله، وسمع بأذن عقله شهادتها بالاحتياج والافتقار[4].

كيفية توظيف المشاهد الكونية في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر:

أ- **إحياء التأمل والتدبر في الآيات الكونية:** كما وجه القرآن الأنظار إلى السماء والأرض والجبال والبحار، يمكن للدعاة حث الناس على التفكر في مخلوقات الله تعالى؛ باستخدام الوسائل الحديثة، مثل: الصور العلمية، والفيديوهات الوثائقية.

ب- **توظيف الاكتشافات العلمية:** لقد أخبر القرآن الكريم عن حقائق أثبتها العلم التجريبي المعاصر، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهذا ما أطلق

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (1/152) بتصرف.
(2) انظر: جامع البيان للطبري (11/457).
(3) انظر: جامع البيان للطبري (9/352).
(4) مفاتيح الغيب للرازي (13/37)، بتصرف.

عليه العلماء «الإعجاز العلمي»[1]، يستطيع الدعاة استخدام الأدلة الكونية؛ لإظهار انسجام النصوص الشرعية مع الحقائق العلمية، مما يقوي إيمان الناس، ويؤثر فيهم.

ت- **ربط الآيات الكونية بالربوبية:** التأكيد على أن هذه المشاهد تدل على عظمة الخالق وحكمته، وهذا يسهم في تقوية الإيمان وتعزيز العقيدة بأسلوب مؤثر.

2 - **المعجزات الحسية:**

المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، يظهره الله على يد الرسول أو النبي، تصديقًا له في دعواه، مع عدم تمكن المرسل إليهم من معارضته[2].

إن هذه المعجزات صور حسية ملموسة، تجذب الانتباه وتثير الاهتمام، تهدف إلى إقناع الناس بصدق الأنبياء، مما جعلها أدلة حسية قوية، لا تقبل الشك، تتجلى فيها قدرة الله تعالى بشكلٍ مباشر أمام البشر، ولولاها «لاختلط الحق بالباطل، والنبي الصادق بالمدعي الكاذب»[3]، وهي تدعم البلاغ المبين، عن طريق الإقناع الحسي الذي يتجاوز مجرد القول، وكذلك تربط الإيمان بالغيب بالشواهد الحسية، التي تبرهن على وجود الله وقدرته، مما يساعد الناس على تقبل الرسالة الإلهية، ولذلك تعتبر المعجزات عنصرًا قويًا في تأكيد البلاغ المبين وتعزيزه، ومن هذه المعجزات الحسية القرآن الكريم نفسه، فهو معجزة الإسلام الخالدة، وإعجازه في عصر الرسالة كان يتمثل في فصاحة ألفاظه، وبلاغة معانيه، وروعة نظمه، وبداعة أسلوبه الخاص، ما جعل العرب- وهم أرباب البلاغة والفصاحة- يشهدون بأنه لا يشبه الشعر ولا النثر؛ لكن الكثير لم يؤمنوا به، واتهموا الرسول — صلى الله عليه وسلم — بافترائه على الله، فتحداهم القرآن عن يأتوا ولو بسورة مثله، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس:38]، فعجزوا جميعًا عن مجابهة التحدي، فثبت لهم ولغيرهم إعجازه[4]، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:88].

ومن المعجزات الحسية معجزة انشقاق القمر، وهي ثابتة في القرآن الكريم والسنة النبوية، قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:1]، قال ابن جرير: «وكان ذلك على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية، فأراهم – صلى الله عليه وسلم – انشقاق القمر، آية حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوّته»[5]، وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود —رضي الله عنه– قال: انشق القمر على عهد رسول الله –صلى الله

(1) تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة للزنداني (16).
(2) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (1/73)، والمعجزة القرآنية (16).
(3) المرجع السابق (15)، بتصرف.
(4) انظر: محاضرات في الإعجاز القرآني (1).
(5) جامع البيان للطبري (22/565).

https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.114

عليه وسلم- فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «اشهدوا»[1].

إن المعجزات تمثل أدلة حسية على صدق الرسالة، وتظهر قدرة الله تعالى بصورة ملموسة تدركها الأبصار وتعيها العقول، وبهذا يخاطب القرآن الفطرة الإنسانية، ويعزز الإيمان بالحقائق الإلهية التي لا تقبل الشك.

كيفية توظيف المعجزات الحسية في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر:

1 - **التذكير بمعجزات الأنبياء:** معجزات الأنبياء التي وردت في القرآن، مثل: سفينة نوح، وانشقاق البحر لموسى، ونجاة إبراهيم من النار، وغيرها من المعجزات، تؤكد قدرة الله تعالى، ويمكن للدعاة إسقاط هذه المعاني على الواقع؛ لتثبيت الإيمان بأركانه الستة.

2 - **إحياء الإيمان بالمعجزة القرآنية:** قال ابن حجر: «معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته، وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار، إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه، فعم نفعه من حضر، ومن غاب، ومن وجد، ومن سيوجد"[2]، وذلك عن طريق إخبار القرآن الكريم بحقائق علمية اكتشفها العلم التجريبي المعاصر، فتذكير العلماء والدعاة للناس ببينات الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومعجزاته يثمر التصديق للرسول، والإيمان بالوعد والوعيد، ويثمر المحبة لله، والحرص على مرضاته، والفوز بجناته، كما يثمر الخوف من الله ومن عذاب النار، كما أن بينات الرسول ومعجزاته هي العروة الوثقى التي يعتصم بها المؤمن أمام أمواج الفتن والشبهات التي لا يصمد أمامها من اكتسب إيمانه تقليدًا للآباء أو مسايرة للمجتمع، فيستطيع الداعية أن يربط بين الآيات القرآنية والمعجزات الحسية العلمية في هذا الزمن لتوضيح أن الإيمان يقوم على أدلة حسية وعقلية[3].

3- **استلهام الثقة بالله:** تذكير الناس بأن المعجزات جاءت تثبيتًا للرسل وأتباعهم، مما يعزز روح اليقين، والاعتماد على الله في النفوس.

3 - **أسباب النزول:**

نزل القرآن الكريم لهداية البشر جميعًا فمنه ما نزل بدون سبب، وهو أكثره، ومنه ما كان لنزوله سبب، اصطلح العلماء على تعريفه بـ: «ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال»[4]، فهذه الحوادث التي وقعت في زمن الرسول — صلى الله عليه وسلم – ونزلت آيات قرآنية على إثرها؛ لتوضح حكمًا شرعيًا أو تعطي توجيهًا معينًا، هذه الحوادث تعتبر أمثلة حية على استعمال القرآن للواقع الحسي، وهي من البيان القرآني الذي أشبه ما تكون بوسائل إيضاح للنص القرآني وتنزيله على الواقع، واعتمادها

(1) صحيح البخاري، برقم (4864). (148/6).
(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (9/7).
(3) بينات الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته للزندلي (8).
(4) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (1/116)، ومباحث في علوم القرآن للقطان (78).

بعد ذلك في الحوادث المشابهة والتطبيقات المختلفة، ما جعل القرآن متفاعلًا مع الواقع الذي عاشه المسلمون، وساهم في فهمه واستيعابه[1]، ومن الأمثلة على ذلك ما أخرجه البخاري عن سهل بن سعد الساعدي، أنه قال: رأيت مروان بن الحكم جالسًا في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أملى عليه: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:95]، فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُمِلُّهَا عَلَيَّ، فقال: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدت -وكان رجلًا أعمى- فأنزل الله -تبارك وتعالى- على رسوله -صلى الله عليه وسلم- وفَخِذُه على فخِذِي، فثقلت عَلَيَّ حتى خفت أن تَرُضَّ فخِذِي، ثم سُرِّيَ عنه، فأنزل الله عز وجل: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[2]، وما جاء في الصحيحين عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رجلًا أصاب من امرأة قُبْلَةً، فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر ذلك له، فأُنزلت عليه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود:114]، قال الرجل: أَلِيَ هذه؟ قال: «لمن عمل بها من أمتي»[3].

وهكذا تمثل أسباب النزول جانبًا حسيًا مهمًا؛ إذ تربط النص القرآني بالواقع، فتجعل الأحكام والتوجيهات أكثر وضوحًا وتأثيرًا، ومن خلال معرفة هذه الأسباب يدرك الإنسان الحكمة الإلهية في تنزيل الآيات، ويعيش أجواء التنزيل، وكأنه شاهد على الأحداث، يربط بين عالم الغيب والشهادة، بأسلوب حسي ينبض بالحياة.

كيفية توظيف أسباب النزول في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر:

- **تأصيل الارتباط بواقع الناس:** كما نزل القرآن يعالج قضايا واقعية، يمكن للدعاة تقديم خطاب دعوي، يعالج مشكلات الناس المعاصرة، مثل: القضايا الاجتماعية والنفسية، بطريقة مباشرة.
- **إبراز مرونة النصوص الشرعية:** توضيح أن الوحي جاء لمعالجة أحوال الناس المختلفة يفتح المجال لاجتهاد العلماء والدعاة في تقديم حلول معاصرة مستندة إلى أصول الشريعة وقواعدها الكلية.
- **توضيح العلاقة بين الوحي والواقع:** استحضار أسباب النزول يساعد في بيان أن الإسلام ليس دينًا جامدًا، بل يتفاعل مع حياة الناس وظروفهم، ويعطينا صورة للأسلوب القرآني في بناء تلك النفوس التي خوطبت به أول مرة، وفي علاج النزوات والعادات والأحداث.

4 - **ضرب الأمثال:**

يعرف المثل بأنه عبارة عن قولٍ في شيءٍ يشبه قولًا في شيءٍ آخر بينهما مشابهة؛ ليبين أحدُهما الآخر

(1) انظر في فوائد معرفة أسباب النزول: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (16)، ومباحث في علوم القرآن للقطان (82:79).
(2) صحيح البخاري برقم: (2832)، (4/25).
(3) صحيح البخاري برقم: (4687)، (6/75)، وصحيح مسلم برقم: (2763)، (2115/4).

ويصوره، أو هو مقابلة شيء بشيء هو نظيره، أو وضع شيء ما ليحتذى به فيما يفعل[1]، وقد أخبر الله – سبحانه – أنه ضرب الأمثال لعباده في غير موضع من كتابه، وأمر باستماع أمثاله، ودعا عباده إلى تعقلها، والتفكير فيها، والاعتبار بها، وهذا هو المقصود بها[2]، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:43]، والأمثال تجمع بين العمق المعنوي والجمال البياني مما يجعل الرسالة واضحة وقريبة من الفهم والإدراك، وفيها قرع لأذن السامع قرعًا ينفذ أثره إلى قلبه، وينتهي إلى أعماق نفسه، وقد اتفق العقلاء على أن التمثيل إذا جاء بعد المعاني كساها أُبَّهَةً، وأكسبها منقبةً، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكَلَفًا، وقَسَرَ الطبائع على أن تعطيها محبة وشغفا[3]، ولهذا وغيره ضرب الله الأمثال لنفوس العباد، حتى يدركوا ما غاب عن أسماعهم وأبصارهم الظاهرة بما عاينوا، ولتبرز تلك المعاني المجردة في صورة محسوسة، أو الأشياء المتخيلة أو المتوهمة في صورة متحققة أو متيقنة من التمثيل الحركي أو القولي، حتى يكون لذلك صداه في نفس المتلقي أو المشاهد، فينطبع في ذاكرته، ويصل إلى قرار فؤاده، فلا يمحى على مر الأيام[4].

ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:24]، شبه سبحانه الحياة الدنيا في أنها تتزين في عين الناظر فتروقه بزينتها وتعجبه، فيميل إليها ويهواها اغترارًا منه بها، حتى إذا ظن أنه مالك لها قادر عليها سلبها بغتة أحوج ما كان إليها، وحيل بينه وبينها، فشبهها بالأرض الذي ينزل الغيث عليها فتعشب ويحسن نباتها ويروق منظرها للناظر فيغتر به ويظن أنه قادر عليها مالك لها فيأتيها أمر الله فتدرك نباتها الآفة بغتة، فتصبح كأن لم تكن قبل، فيخيب ظنه وتصبح يداه صفرًا منها، فهكذا حال الدنيا والواثق بها سواء[5].

إن هذا التشبيه الحسي الذي يعكس فناء الدنيا وسرعة زوال زينتها، وأن ما فيها من نعيم فهو زائل، يسهل على الناس فهم طبيعتها المؤقتة.

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:41]، أي: مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها، كمثل

(1) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (759:760)..
(2) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (1/149).
(3) تفسير القرآن الحكيم لرشيد رضا (1/198).
(4) عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن للطهطاوي (176).
(5) الأمثال في القرآن لابن القيم (12:13).

العنكبوت في ضعفها، وقلة احتيالها لنفسها، اتخذت بيتا لنفسها، كيما يكنّها، فلم يغن عنها شيئًا عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله، وحل بهم سخطه أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئًا، ولم يدفعوا عنهم ما أحل الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم[1]، ففي هذا المثل بيان حال من يدعو غير الله مع ما يدعوهم من دونه، وأنه لا يحصل على طائل فأي غَنَاء لإنسان في بيت العنكبوت، وكذلك أي غَنَاء في ولاية غير الله فكذلك الحال هنا، أريد بالأمثال صور لانتزاع الحكم من السامع بعد أن تصبح الصورة محسوسة ملموسة[2]، وهكذا يوضح المثل هشاشة الاعتماد على غير الله من خلال صور مرئية واضحة للجميع، ما يساعد في الفهم والإقناع.

وهكذا يأتي ضرب الأمثال في القرآن الكريم كإحدى طرائق الأسلوب الحسي؛ لأنه يساعد على توضيح المفاهيم المجردة والمعاني العميقة بأمثلة حسية قريبة من واقع الناس، وذلك يمكّنهم من فهم الرسائل القرآنية بطريقة أعمق وأسهل، ويشجعهم على التفكير والتدبر مما يجعلها وسيلة فعالة في الإقناع والبيان والتأثير.

كيفية تطبيق ضرب الأمثال في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر:

1- **تبسيط المفاهيم الدعوية:** كما ضرب القرآن أمثالًا لتوضيح المفاهيم المجردة والمعاني العميقة بأمثلة حسية واقعية؛ لتقريب الفهم للناس، يمكن للدعاة استخدام الأمثال الواقعية الحديثة لتبسيط المفاهيم الشرعية.

2- **تعزيز التأثير النفسي:** الأمثال تترك أثرًا عاطفيًا قويًا في النفوس، ويمكن أن تُستخدم بأسلوب قصصي ممتع يجذب الناس إلى الرسالة الدعوية.

3- **التشجيع على التفكير الإبداعي:** الأمثال تدفع المستمع إلى التأمل واكتشاف الرسالة من خلال الصورة الذهنية، مما يعزز تفاعل الجمهور مع الخطاب الدعوي.

المطلب الثاني: الأسلوب العقلي وكيفية تطبيقه في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر

الأسلوب العقلي من العقل، والعقل يطلق ويراد به أمران: القوة التي تهيئ الإنسان لإدراك العلوم، والعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة[3]، وهو في الاصطلاح: مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على العقل، وتدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار[4].

يعتبر الأسلوب العقلي أحد أساليب البلاغ المبين في القرآن الكريم، حيث خاطب الإنسان بقدراته العقلية، فحثه على التأمل والتفكير، والتدبر والاستدلال، وغني عن التأكيد عناية القرآن الكريم بالعقل،

(1) جامع البيان للطبري (20/38).
(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (8/66).
(3) المفردات في غريب القرآن للراغب (577).
(4) المدخل إلى علم الدعوة للبياتي (208).

فالنصوص في ذلك كثيرة[1]، والذي يعنينا هنا هو بيان استعمال القرآن الكريم للأسلوب العقلي في عملية البلاغ، الذي يستهدف إعمال الفكر والتأمل، وهو أسلوب يعزز من دور العقل في فهم الحقائق، والتمييز بين الصواب والخطأ، إذ الإنسان كائن مفكر، والقرآن الكريم يحرك هذا التفكير نحو الكون والإنسان والحياة وما بعد الموت، كوسيلة لإقناع المخاطبين بالحقائق الدينية والكونية فيكونوا من الراشدين، ذلك أن «أي تحول في السلوك والاتجاهات فمدخله الطبيعي هو العقل، فهو الذي يوجه النشاط والحركة الإنسانية، وهو الذي يبني ويهدم، وهو الذي يؤلف ويفرق»[2]، والقرآن الكريم يستعمل هذا الأسلوب بصور كثيرة، وببلاغة معجزة للبشر عن الاتيان بمثلها، ليكون ذلك دليلًا عقليًا قاطعًا على صدق الوحي، حيث يعجز البشر عن محاكاته، أو الاتيان بمثله، فيشكّل تحديًا أمام المنكرين، ويعزز اليقين لدى المؤمنين، وبذلك وغيره كان بلاغًا مبينًا، ومن صور الأسلوب العقلي في القرآن الكريم:

1 - **الاستدلال المنطقي:**

«البحث العقلي المنظم لبلوغ حقيقة مجهولة انطلاقًا من حقيقة معلومة» يسمى الاستدلال المنطقي[3]، والقرآن الكريم يستعمله أسلوبًا كحجة عقلية لإثبات الحقائق الدينية كالتوحيد والبعث، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور:35]، ففي الآية الكريمة يحتج القرآن على المكذّبين المنكرين بحجة لا بدّ للعقول من الإقرار بها، ولا يجوز في منطق العقل السليم رفضها، يقول لهم: أنتم موجودون هذه حقيقة لا تنكرونها، وقد تقرر في العقول أنّ الموجود لا بدّ من سبب لوجوده، وهذا يدركه راعي الإبل في الصحراء، فيقول: « البعرة تدلّ على البعير، والأثر يدلّ على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، ألا تدل على العليم الخبير «. ويدركه كبار العلماء الباحثين في الحياة والأحياء، وهذا الذي أشارت إليه الآية هو الذي يعرف عند العلماء باسم: «قانون السببية»، هذا القانون يقول: إن شيئاً من الممكنات لا يحدث بنفسه من غير شيء؛ لأنه لا يحمل في طبيعته السبب الكافي لوجوده، ولا يستقل بإحداث شيء؛ لأنّه لا يستطيع أن يمنح غيره شيئاً لا يملكه هو»[4]، ولهذا كان في الآية استدلال عليهم بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبيان ذلك: أن الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور: إما أنهم خُلقوا من غير شيء أي: لا خالق خلقهم، بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد، وهذا عين المحال، أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضا محال، فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم، فإذا بطل هذان الأمران، وبان استحالتهما، تعين القسم الثالث أن الله الذي خلقهم[5].

(1) ترددت مادة العقل في تسع وأربعين آية، انظر: العقل والعلم في القرآن الكريم للقرضاوي (13).
(2) العقل العربي وإعادة تشكيله للطريري (78).
(3) معجم اللغة العربية المعاصرة لمختار (1/763).
(4) العقيدة في الله للأشقر (73).
(5) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (816).

علاوة على ما سبق بيانه من بروز الاستدلال المنطقي في القرآن الكريم فيمكن رؤية ذلك -أيضًا- بجلاء في مجادلة القرآن الكريم لمخالفيه من أرباب الديانات والملل المنحرفة، ردًا على شبهاتهم التي كانوا يثيرونها حول عقائد الدين الجديد، حيث جادلهم وهز عقولهم بالحجج العقلية البرهانية، والاستدلالات المنطقية التي يسلم بها الناس جميعًا، فحاجج المكذبين بالبعث بعد الموت بخلقهم أول مرة من العدم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء:104]، وأحيانًا أخرى قاس الإعادة على خلق السماوات والأرض، الذي هو أكبر من خلق الإنسان، فيما يسمى في مجال المنطق بقياس الأولى، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف:33]، وبهذا يستطيع العقل في النهاية الإيمان بالبعث بعد الموت قياسًا على إمكانه في المرة الأولى، وعلى خلق ما هو أكبر.

بهذا الأسلوب يضع القرآن الكريم الحجة الدامغة أمام العقل؛ ليصل بالإنسان إلى الحقائق الكبرى بأسلوب منطقي يقنع العقول وينير القلوب.

كيفية تطبيق الاستدلال المنطقي في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر:

-1 **تعزيز الإقناع بالحجة:** القرآن استخدم الاستدلال العقلي المنطقي لإثبات العقيدة والرد على الشبهات مثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس:81]، فيمكن للدعاة إلى الله اليوم الاستفادة من هذا الأسلوب؛ لإقناع الناس بقضايا الإيمان والعبادة بأسلوب منطقي.

-2 **الرد على الشبهات والأفكار الإلحادية:** الاستدلال المنطقي يمنح الخطاب الدعوي قوة في مواجهة الشبهات والتحديات الفكرية المعاصرة عامة، وأمام تيارات الإلحاد والتشكيك خاصة.

-3 **صياغة الرسائل الدعوية بلغة علمية دقيقة:** الدعوة تصبح أكثر قبولًا حين تُطرح بأسلوب عقلي منطقي، مدعوم بالأدلة والبراهين.

2 - **الدعوة إلى التفكر:**

القرآن الكريم يخاطب الفطرة العقلية المتأصلة في الإنسان فيقول: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:21]، ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم:8]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:101]، سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:11]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ

﴿ [آل عمران: 190:191]، ففي هذه الآيات دعوة واضحة إلى استخدام العقل والتفكر في الكون، وما فيه من نظام ودقة، وحين تفكر هؤلاء في خلق السماوات والأرض وما فيهما من روعة النظام ودقة الأحكام، هداهم إلى أن الله ما خلقهما إلا لحكمة، ولهذا قالوا: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ [1]، هكذا كانت الدعوة إلى التفكر في آيات الله كلها دليل على أهمية استخدام العقل للوصول إلى الإيمان، مما يعمق فهم الإنسان لربوبية الله وعظمته.

كيفية تطبيق الدعوة إلى التفكر في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر:

-1 تنشيط العقل والتفكر: كما دعا القرآن إلى النظر في النفس والآفاق، يمكن للدعاة حث الناس على التأمل في قضايا الحياة، والموت، والكون، ليصلوا إلى الإيمان بالله تعالى.

-2 إحياء منهج البحث عن الحق: الخطاب الدعوي الذي يشجع التفكير والتساؤل العقلاني يتماشى مع فطرة الإنسان الباحثة عن الحقيقة.

-3 ربط الدين بالحياة اليومية: التفكر في قضايا الحياة، ورؤية تدبير الله لخلقه في دينهم ودنياهم يربط الدين بالحياة اليومية، وفيه بيان كيف أن الإسلام يعالج قضايا الواقع ويحث على تطويره.

3 - إيقاظ الخيال:

الخيال قوة تُمكّن الإنسان من الاحتفاظ بصور المحسوسات بعد غيابها، حيث يعمل كخزانة للحس[2]، والقرآن الكريم يعمل على إيقاظ الخيال من خلال بلاغته في استعماله للصور والتعبيرات التي تحفّز على تصور المشاهد والأحداث بشكل حي وواقعي، وهو بذلك يُعزز من القدرة العقلية لدى المتلقي على إدراك المعاني والأفكار بشكل أعمق، كما أن إيقاظ الخيال يخلق صورًا ذهنية واضحة، تجعل المعاني أكثر وضوحًا وإدراكًا، مما يساعد على الفهم والاستيعاب، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم ما جاء في ذكر مشاهد من أهوال يوم القيامة، وما يصاحبها من أحداث كونية رهيبة شاملة، تشمل السماء والأرض وما فيهما من شمس ونجوم وبحار وجبال وأنعام ووحوش، يتخيل القارئ تلك المشاهد وهو يقرأ بعض سور القرآن، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سرّه ان ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: 1]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: 1]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: 1]، وأحسب أنه قال: سورة هود»[3]، كما تشمل تلك الأحداث بني الإنسان أيضًا، كما أخبر الله تعالى في مطلع سورة الحج بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: 2:1]، يقول سيد

(1) العقل والعلم في القرآن الكريم للقرضاوي (23).
(2) التعريفات للجرجاني (102)، بتصرف يسير.
(3) المسند لأحمد بن حنبل برقم: (4806)، (406/4).

قطب وهو يتحدث عن هذا المطلع: «مشهد مزدحم بذلك الحشد المتماوج، تكاد العين تبصره لحظة التلاوة، بينما الخيال يتملاه فلا يكاد يبلغ أقصاه»[1]، ففيه تصوير لمشهد يوم القيامة بطريقة درامية، يظهر فيه تأثير الأحداث على الأمهات والحوامل، وقد أصابهن بالذهول رغم مشاعرهن القوية نحو أطفالهن، مما يعكس حجم الفزع الذي سيعيشه الجميع، وهذا كله سيُعزز عند القارئ – وهو يشاهد الأحداث في خياله كأنه يعيشها بنفسه – الشعور بالخوف من يوم الحساب وأهمية الاستعداد له، مما يُحفزه على التفكير في أفعاله ونتائجها، ولعل في تلك الأمثلة ما يكفي لبيان قدرة القرآن على استعمال الخيال لخلق تأثير عميق في النفوس، وأن ذلك ليس خيالًا مجردًا مقصودًا لذاته، بل هو ببلاغته وإعجازه دليل عقلي على صدق الوحي، حيث تدفع هذه البلاغة والإعجاز العقل للتفكير في مصدر القرآن، ويقود إلى الاستنتاج بأن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من عند بشر، بل هو وحي من الله، يستحيل على البشر الاتيان بمثله.

إن إيقاظ الخيال في القرآن الكريم يعزز قدرة الإنسان على تصور المشاهد الغيبية كالقيامة وغيرها، مما يقوي التأثير النفسي.

كيفية تطبيق إثارة الخيال في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر:

1 - **التأثير العاطفي والعقلي:** كما استخدم القرآن الخيال المحفز يمكن للدعاة الاستفادة من هذا الأسلوب بخطاب يثير خيال المستمع يلمس وجدانه ويشغل عقله مما يجعل المخاطبين أكثر استعدادًا للتفاعل مع الرسالة.

2 - **توضيح المفاهيم المجردة:** استخدام الصور التخيلية يعين على شرح المفاهيم العقدية والأخلاقية بطريقة سهلة ومؤثرة.

3 - **إحياء الإبداع في الخطاب الدعوي:** الداعية الذي يوظف الخيال بشكل مناسب يكون أكثر قدرة على كسر الجمود في أسلوب الدعوة التقليدي، لا سيما إذا استعان بالوسائل الحديثة.

4 - **القدوة الحسنة:**

يدور معنى القدوة فيما ذكره أئمة اللغة على معنى التأسي، والمتابعة، والتسنن، فلان قدوة أي يقتدى به[2].

وهي عند المفسرين: اتباع الأثر في القول والفعل والسيرة[3]، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: 21]، فالأسوة كالقدوة، أي: قدوة صالحة يقتدى به[4].

إن القدوة ذات تأثير هائل، والله الذي خلق النفس البشرية يعلم سبحانه أن الموعظة وحدها لا تكفي،

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (4/2408).
(2) مختار الصحاح (249).
(3) المحرر الوجيز لابن عطية (2/318).
(4) أضواء البيان (8/85)، والتفسير الوسيط للزحيلي (3/2063).

مهما يكن من بلاغتها وقوتها، ما لم يحملها قلب بشر، يتمثلها ويترجمها واقعًا مشهودًا أمام الناس، ثم يدعو الناس إلى اتباعها وقد بين لهم بالقدوة العملية كيف يكون الاتباع، وقد كان الله قادراً –سبحانه وتعالى– أن ينزل القرآن مكتوبًا في قراطيس، ثم يلهم العرب الأميين أن يقرأوه، ولكنه يعلم – وهو اللطيف الخبير– أن النفوس لا تتقبل الأمر على هذه الصورة، ولا تتأثر به التأثر المطلوب، الذي يحوّل الأمر إلى حركة واقعية ذات قوة وانطلاق، إنما أنزله –سبحانه وتعالى– على قلب بشر، تمثّله تمثلًا كاملًا، وترجمه واقعًا يراه الناس، فيحب هذا الواقع من شرح الله صدره للإسلام، فتهفو له نفسه، وينقاد إليه، ويدخل في دين الله[1].

والقرآن الكريم لفت الأنظار كثيرًا إلى ضرورة الاقتداء لما له من أهمية، قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 12]، قال السعدي: «لما ذكر في هذه السورة من أخبار الأنبياء، ما ذكر، ذكر الحكمة في ذكر ذلك، فقال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾، أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به[2].

إن القدوة العملية من أقوى أساليب البلاغ المبين العقلية؛ لأنها تجسد المبادئ والقيم التي يدعو إليها الداعي بشكل ملموس، مما يزيد من مصداقيته وثقة المدعوين في دعوته، ذلك أن القدوة ليست مجرد تقليد حسي، بل وسيلة لتفعيل العقل والتفكر في استيعاب الرسالة، واستنباط كيفية تطبيقها في الحياة الشخصية، قال الله تعالى على لسان رسوله الكريم: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس:16]، إن اللبث نوع من البيان العقلي، فعندما يرى المدعو التزام الداعي بما يدعو إليه واتباعه لتلك القيم في حياته الشخصية، يقتنع بأن الدعوة صادقة وفعالة، فيتأثر بشكل أعمق، وهذا يجعله أكثر استعدادًا للإقلاع عن العادات السلبية، أو تبني السلوكيات الإيجابية، كما تؤكد له القدوة العملية إمكانية تطبيق تلك القيم في الحياة اليومية، وبهذه الطريقة تصبح حافزا للتغيير، ليس فقط من خلال الإرشاد النظري بل من خلال التطبيق العملي، الذي يعزز الثقة في الدعوة، قال الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود:88]، أي: «ما أريد مما نهيتكم عنه أن أمنعكم أفعالًا وأنا أفعلها، أي لم أكن لأنهاكم عن شيء وأنا أفعله»، وهذا معناها عند جميع المفسرين من التابعين فمن بعدهم[3]، ذلك أن من تكملة دعوة الداعي وتمامها أن يكون أول مبادر لما يأمر غيره به، وأول منته عما ينهى غيره عنه[4].

(1) كيف ندعو الناس لمحمد قطب (100).
(2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (392).
(3) التحرير والتنوير لابن عاشور (12/143).
(4) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (388).

إن عملية البلاغ المبين تتطلب تكامل الأقوال والأفعال، حيث تكون القدوة هي الأداة العملية لتجسيد الدعوة، وعندما يفشل الداعي في أن يكون قدوة، فإن ذلك يضعف قوة الرسالة، ويؤدي إلى تراجع التأثير الدعوي، وفقدان الثقة والمصداقية، وإثارة الشكوك والاعتراضات، ولهذا شنّع الله تعالى على أولئك الذين يقولون ما لا يفعلون؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف:2:3]، أي: لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به، فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه[1]، قال تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: 44].

إن تقديم القدوة الحسنة في القرآن الكريم يؤكد أهمية العمل الصالح، والتطبيق العملي للدعوة؛ ليكون النموذج الحي أقوى رسالة للعقل والقلب معًا، لا سيما في مثل هذه العصور، وقد جهل الناس لغة القرآن، ومدلولاتها، وإعجاز القرآن بها، وهذا يعني أنهم لا يفهمون الحجة منها، فتأكد على القائمين بعملية البلاغ أن يتمثلوا الإسلام عمليًا؛ لتلتقي الحجة العملية مع الحجة القولية، فيكون بلاغهم مبينًا، وإلا فسيظل هناك انفصام كبير بين المبادئ الإسلامية، والواقع المعاش.

كيفية تطبيق القدوة الحسنة في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر:

1 – تعزيز مصداقية الخطاب الدعوي: كما كان الرسول ﷺ قدوة عملية في تطبيق الإسلام، فإن الدعاة اليوم بحاجة إلى أن يكونوا مثالًا حيًا للقيم والأخلاق التي يدعون إليها، وفي ذلك بيان لمصداقيتهم في دعوتهم.

2 – إثبات واقعية المبادئ الإسلامية: رؤية القدوة الحسنة في الداعية تقنع الناس بأن الشريعة الإسلامية قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان، وفي ذلك تحفيز للناس على اتباعه ليس فقط بالكلام، بل بالتطبيق.

3 – التأثير على الناس: القدوة الحسنة أداة فعالة للدعاة إلى الله للتأثير على المدعوين؛ لأنها تجمع بين الإقناع العقلي والتأثير النفسي.

المطلب الثالث: الأسلوب العاطفي

الأسلوب العاطفي من «العاطفة»، وتطلق ويراد بها البر والصلة والرق والشفقة والميل[2]، أما في

(1) المرجع السابق (858)..
(2) لسان العرب لابن منظور (9/250).

الاصطلاح: فهو مجموعة الأساليب الدعوية، التي ترتكز على القلب، وتحرك الشعور والوجدان[1].

إن العاطفة في الإنسان تنظيم مركب من عدة انفعالات[2]، وهي كالفطرة، مشاعر يهتز لها القلب، لا يعرف كنهها، لكن يرى نتائجها[3]، والعاطفة لها دور كبير في تغيير السلوك، بل إن التغيير الحقيقي في الشخصية الإنسانية هو ما يكون باعثه من داخل قلبه، الذي هو محل الشعور، وموضع التصديق، والدافع إلى الاستجابة، ذلك أن الفرد إذا ما اقتنع بفكرة معينة أو باتجاه معين وتفاعل معه وجدانيًا وعاطفيًا، أدى ذلك بدوره إلى سعيه الحثيث والعملي، لتحقيق ذلك الاتجاه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [التوبة:46]، أي ولو أراد هؤلاء المنافقون الخروج معك للجهاد، أو كانت لهم نية في الغزو؛ لاستعدوا له بالسلاح والزاد، فتركهم الاستعداد دليل على إرادتهم التخلف[4]، ولعل المتأمل في مراحل التشريع الإسلامي يجد أنه في بدايته كان التركيز فيه على الناحية الوجدانية العاطفية؛ حتى إذا استحكم الإيمان في القلوب وتمكن، نزلت الأوامر العملية[5]، وفي ذلك تقول عائشة – رضي الله عنها –: «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء (لا تشربوا الخمر)؛ لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل (لا تزنوا) لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا، لقد نزل بمكة على محمد –صلى الله عليه وسلم– وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر:46]، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده»[6].

والمتأمل في القرآن الكريم يجده يستعمل الأسلوب العاطفي كثيرًا في توصيل الرسالة إلى قلوب المخاطبين، وهي طريقة تلامس المشاعر برقة، وتعزز من التأثير النفسي على المخاطب، وتسهم في توجيه سلوكياته وأفكاره نحو الهداية، ما يجعل الرسالة واضحة بينة، ومن صور استعمال القرآن الكريم للأسلوب العاطفي:

1 - **اللغة العاطفية:**

القرآن الكريم يستعمل اللغة العاطفية في خطابه للناس، فيلامس بذلك القلب، ويثير الانفعالات الوجدانية، كاستعمال أسلوب الرحمة والتودد والعتاب، حيث يظهر توجيه الخطاب للقلوب بأسلوب رحيم في تودد، وعتاب أحيانًا، مما يؤثر في نفوس المخاطبين، ويحثهم على التأمل والتوبة، وهذا يظهر بجلاء في الآيات التي تتحدث عن رحمة الله ولطفه بعباده، وتوده وعتابه لهم، ففي أسلوب الرحمة قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ

(1) المدخل إلى علم الدعوة للبيانوني (204).
(2) المدخل إلى علم النفس لموسى (241).
(3) مناهج الدعوة وأساليبها لجريشة (16).
(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (8/156)، وصفوة التفاسير للصابوني (502).
(5) مجلة البيان العدد: (162)، (129).
(6) صحيح البخاري برقم: (4939)، (6/185).

﴿هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]، إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية، وإنها الدعوة للأوبة، دعوة العصاة المسرفين، دعوتهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله[1]، والآية الكريمة تدل على الرحمة من وجوه كثيرة: منها: الأول: أنه تعالى أضافهم إلى نفسه بياء الإضافة فقال: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾، وشرف الإضافة إليه يفيد الأمن من العذاب، الثاني: أنه نهاهم عن القنوط فيكون هذا أمرًا بالرجاء، والكريم إذا أمر بالرجاء فلا يليق به إلا الكرم، الثالث: أنه تعالى قال أولًا: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾»، ولم يقل: «لا تقنطوا من رحمتي» لكنه ترك هذا اللفظ، وقال: ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾؛ لأن قولنا الله أعظم أسماء الله وأجلها، فالرحمة المضافة إليه يجب أن تكون أعظم أنواع الرحمة والفضل، الرابع: أنه لو قال: ﴿يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ﴾، لكان المقصود حاصلًا؛ لكنه أردفه باللفظ الدال على التأكيد فقال: ﴿جَمِيعًا﴾، وهذا أيضًا من المؤكدات، الخامس: قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، يفيد الحصر، ومعناه أنه لا غفور ولا رحيم إلا هو، وذلك يفيد الكمال في وصفه سبحانه بالغفران والرحمة، فهذه الوجوه مجموعة في هذه الآية، وهي بأسرها دالة على كمال الرحمة والغفران[2].

وفي أسلوب التودد، فالقرآن الكريم مليء بالنصوص التي يتودد الله تعالى فيها لخلقه، تارةً بنعوته الجميلة، وتارةً بنعمه الخفية والجلية، تودداً يلامس به أوتار القلوب، كقوله جل وعلا: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾ [هود:90]، أي محب للمؤمنين، وقيل محبوب للمؤمنين[3]، والتحقيق أن اللفظ يدل على الأمرين: على كونه وادًا لأوليائه، وموددًا لهم[4].

ومن أمثلة نصوص العتاب، قوله تعالى، وهو ينادي الإنسان نداءً يهز كل ذرة في كيانه، ويبلغ من القلب شغافه وأعماقه، يعاتبه هذا العتاب الجليل، ويذكره هذا الجميل، بينما هو سادر في تقصيره في حق مولاه الذي خلقه فسواه فعدله[5]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ [الانفطار:6:8].

إن التركيز على الوجدان في القرآن كثير جدًا، ومكرر، كصور القيامة، ومشاهد النعيم والعذاب، وكلها في الحقيقة منطق وجداني، ليس في ما ذكر من خطاب الرحمة والتودد والعتاب فقط، بل حتى في الجدل، فقد جادل القرآن الكريم بالمنطق الوجداني وناضل، وكسب المعركة في النهاية، ومن أمثلة ذلك الجدل[6] قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (5/3058).
(2) التفسير الكبير للرازي (27/464:463).
(3) معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (4/196).
(4) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (93)،
(5) في ظلال القرآن لسيد قطب (6/3847).
(6) ينظر: التصور الفني في القرآن لسيد قطب (230:229).

أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ ۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ [النمل: 59:64].

إن هذه الأساليب في الخطاب القرآني كان لها دور كبير في تحقيق البلاغ المبين، إذ أوصلت الرسالة الإلهية إلى قلوب الناس؛ بلغة عاطفية خالطت شغاف قلوبهم، فتحركت نحو الطاعة والرجوع إلى الله، وهي تشعر برحمته ولطفه.

كيفية تطبيق اللغة العاطفية في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر:

1 - **إثارة المشاعر الإيمانية:** استعمال العبارات المؤثرة والمشحونة بالعاطفة، يساعد الدعاة على تحريك القلوب، واستثارة الأحاسيس نحو التوبة والعمل الصالح.

2 - **تقريب الدعوة إلى القلوب:** يستطيع الدعاة مخاطبة الناس بلغة عاطفية دافئة، تلامس مشاعرهم، وتفتح لهم أبواب الأمل، مستعينين بوسائل الاتصال الحديثة، وبذلك ستصبح دعوتهم أكثر قربًا من الناس.

3 - **التأثير الإنساني:** الخطاب الدعوي الذي يعبّر عن التعاطف مع الناس ومشاكلهم، يجعل الخطاب أكثر تأثيرًا وقبولًا.

ثانيًا: لغة الجسد:

القرآن الكريم يستعمل أساليب تثير المشاعر والوجدان، عن طريق الألفاظ العاطفية، ويستعمل أسلوبًا آخر يتجاوز مجرد الألفاظ؛ ليصل إلى ما هو أعمق، وهو التواصل غير الشفهي، للتعبير عن المعاني بإشارات تتعلق بلغة الجسد، وهو نوع من أنواع الاتصال المؤثر يكون في الغالب من طابع المشاعر والأحاسيس والعواطف، بينما يكون الاتصال اللفظي في الغالب للتعبير عن الأفكار، وتبادل المعارف[1]، ولغة الجسد عند علماء الاتصال من الوسائل التي تحقق الكثير من التجاوب بين الناس، يفوق أثرها تأثير الكلام المنطوق بكثير؛ لأنه مفعم بالعواطف، ويناشدها بقوة[2].

تتجلى لغة الجسد في القرآن في التصوير القرآني لوضعيات وأحوال الشخصيات، مما يضيف عمقًا إلى البلاغ المبين، ويعزز القدرة على إيصال المعنى بوضوح، يظهر ذلك في مشاهد متعددة، حيث يصف الله أحوال الإنسان أو ردود أفعال محددة بلغة دقيقة، تعبر عن الحالة النفسية أو العاطفية، بأسلوبٍ يلامس القلوب، وتجعل المستمع يعيش المعنى، ويتفاعل معه، ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى مبينًا شدة

(1) لغة الجسد في القرآن الكريم لجميل (10:15).
(2) ينظر: مهارات الاتصال في السنة النبوية من منظور إداري للبحري (134).

حزن يعقوب عليه السلام: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: 84]، وذلك أن يعقوب – عليه السلام– لما بلغه خبر بنيامين تتام حزنه، وبلغ جهده، وجدد حزنه على يوسف، فأعرض عنهم وقال يا شدة حزني على يوسف، وابيضت عيناه من امتلائه حزنًا فلم يبصر بهما ست سنين[1]، إن هذا المثال يوضح كيف يمكن للجسد أن يكون وسيلة لنقل المشاعر العميقة.

ومن الأمثلة أيضًا قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾، [الزمر:33]، الآية الكريمة تصور هيئة تلقي المؤمنين لهذا القرآن، يتلقونه في وجلٍ وارتعاش، وفي تأثر شديد تقشعر منه الجلود، ثم تهدأ نفوسهم، وتأنس قلوبهم بهذا الذكر، فتلين جلودهم وقلوبهم، وتطمئن إلى ذكر الله، وهي صورة حية حساسة ترسمها الكلمات، فتكاد تشخص فيها الحركات[2]، وهذا الوصف يُظهر الخشوع بوضوح، إذ يبيّن مدى عمق الأثر في النفوس المؤمنة، من خلال قشعريرة جلودهم، ما يعطي صورة حسية لمشاعر الخشية.

إن من سمات التعبير القرآني تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية، وإبرازها في صور المشاهد الطبيعية، والحوادث الماضية، والقصص المروية، والأمثال القصصية، ومشاهد القيامة، وصور النعيم والعذاب، والنماذج الإنسانية، كأنها كلها حاضرة شاخصة بالتخييل الحسي الذي يفعمها بالحركة المتخيلة[3]، ولعل من الأمثلة قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: 38:39]، يتم تصوير الفرح والسعادة بلغة الجسد، من خلال وجوه ضاحكة مستبشرة، مما يجسد المشاعر الداخلية بطريقة تجعل القارئ أو المستمع يستشعر السعادة ويعيشها.

وهكذا فإن للغة الجسد في القرآن الكريم دورًا مهمًا في تحقيق البلاغ المبين؛ إذ إنها تنقل المشاعر، وتعبّر عن الحالات النفسية، بلغة مؤثرة تفهمها النفوس، وتستوعبها العقول، تلك الإشارات الجسدية، ترسم لنا مشاهد واقعية، تُبيّن أثر الإيمان والخوف والفرح، وغير ذلك، وتُعين المستمع على الإحساس بما وراء الكلمات من معانٍ عميقة، وبذلك تكون لغة الجسد جزءًا من الأسلوب العاطفي في البلاغ المبين، يعزز فهم الرسالة القرآنية، ويجعلها تتغلغل إلى أعماق النفوس، فينتج عنها السلوك.

كيفية تطبيق لغة الجسد في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر:

1- **تعزيز الصدق في الدعوة:** إظهار الدعاة لمشاعرهم بصدقٍ من خلال الابتسامة، ونبرة الصوت، وتعابير الوجه، يعزز من صدق الخطاب وتأثيره وبيانه.

(1) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (5/247).
(2) في ظلال القرآن لسيد قطب (5/3048).
(3) التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب (241).

https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.114

-2 **التأثير البصري على الجمهور:** لغة الجسد المدروسة تُكمل الكلمة المنطوقة، وتجعل الخطاب الدعوي أكثر حيوية وتأثيرًا.

-3 **توضيح المفاهيم المجردة:** من خلال التفاعل الحركي، يمكن للدعاة إيصال بعض الأفكار بأسلوبٍ قريب من الفهم والحس.

ثالثًا: الموعظة الحسنة:

تطلق الموعظة الحسنة، ويراد بها الكلام المليّن للقلب، بما فيه من ترغيب وترهيب[1]، ترغيب يزرع الأمل، ويدعو إلى الطاعة، وترهيب يحذر من العواقب السيئة، ويحث على تجنب المعصية، قال الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل:125].

لقد خاطب القرآن الناس خطابًا يلامس القلوب، ويؤثر في النفوس، حتى سماه الله تعالى موعظة[2]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: 57]، من أبرز أساليبه في الموعظة الجمع بين الترغيب، الذي يأتي كرسالة ودودة للناس كافة، يعرض أمامهم طريق الخير بلطف، ويدعوهم إليه، والترهيب الذي يُنذرهم برفق، من طريق الشر، ويحذرهم منه، مما يعزز من وضوح البلاغ، ويؤثر في نفوس السامعين.

إن المتأمل في القرآن الكريم يرى الوعظ في الأوامر، من خلال الترغيب بما تشتمل عليه تلك الأوامر من المصالح وتعدادها، ويراه في النواهي، من خلال الترهيب بما تشتمل عليه تلك النواهي من مضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله، وإهانة من لم يقم به، وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل، وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل[3]، والقرآن مليء بتلك المواعظ التي ترقق القلوب، بحسن لفظها؛ ووضوح دلالتها على معناها، فبلغت مبلغها من دواخل النفس البشرية، مثيرة للرغبة والرهبة، وباعثة للرجاء والخوف، بلا تقنيط من رحمة الله، ولا تأمين من مكره[4] ومن الأمثلة على الموعظة بالترغيب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [التحريم: 8]، فقد أمر الله عباده بالتوبة، ثم رغبهم في سلوكها، بتكفير السيئات ودخول الجنات، ومن الأمثلة على الموعظة بالترهيب، قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾ [الحج: 31].

وقد تجمع الموعظة بين الترغيب والترهيب، كقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [غافر:3]، حيث جمع -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة بين

(1) البحر المحيط لابن حيان (6/613)، وتفسير ابن باديس (322).
(2) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (1/91).
(3) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (452).
(4) تفسير ابن باديس (323).

الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد؛ لأن مطامع العقلاء محصورة في أمرين، هما: جلب النفع، ودفع الضر، وهذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية الكريمة، جاء موضحًا في آيات كثيرة من كتاب الله[1]، كقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه:123:124]، وهكذا تثير مواعظ القرآن العواطف، وتخاطب الوجدان، ذلك أن مرمى الإقناع في الوعظ ليس هو الإلزام والإفحام فحسب، وإنما مرماه حمل المخاطب على الإذعان، والتسليم بطوعه، وإرادته، وذلك لا يتسنى بسوق الدلائل المنطقية جافة، ولا بإيراد البراهين العقلية عارية، بل بذلك وبإثارة العاطفة، ومخاطبة الوجدان[2]، وهذا كله يجعل الرسالة القرآنية واضحة وقريبة من النفوس، ويساعد على إيصالها بأسلوب مؤثر، يعين الناس على تحقيق الاستقامة، وتجنب المعاصي، ويُظهر قدرة البلاغ القرآني على التأثير العميق في القلوب.

كيفية تطبيق الموعظة الحسنة في تطبيق الخطاب الدعوي المعاصر:

1 - **إحياء أسلوب الترغيب والترهيب:** إن إحياء هذا الأسلوب، وتوازن الخطاب بين الرجاء والخوف، يساعد الدعاة على تحقيق التأثير المطلوب على المستمعين.

2 - **إبراز الرفق ولين الجانب:** الدعوة بالموعظة الحسنة، تُلهم الناس الاستجابة، وتكسب قلوبهم، خاصةً في بيئات تُقاوم الخطاب الدعوي.

3 - **معالجة القضايا النفسية والاجتماعية:** تقديم النصح والإرشاد، بأسلوب لطيف، يساعد في التخفيف عن الناس، ويشجعهم على تجاوز أزماتهم، بطريقة إيجابية، وبعيدة عن التوتر.

رابعًا: القصة:

تطلق القصة، ويراد بها الخبر المقصوص، أصلها قص، والقص: البيان، تقول: «قص عليّ خبره يقصه قصًا، أورده، وتتبع تفاصيله»[3]، وعلى هذا: فما جاء من أخبار قصّها علينا القرآن الكريم، يمكن أن يطلق عليها لفظ: القصة [4].

المتأمل في القرآن الكريم يجد القصة قد أخذت مساحة واسعة منه، بل قد يتكرر عرض القصة الواحدة في سور شتى، ذلك أن القصة القرآنية تعد من أبلغ وأقوى وسائل التأثير العاطفي، وقد اسْتُعْمِلت لتحقيق أهداف دعوية وتربوية، بحيث تخاطب القلوب والمشاعر، وتثير في النفس مشاعر التأمل والتأثر، والقصة القرآنية ليست مجرد حكايات تروى، أو سرد للأحداث، بل هي لمسات وإيحاءات مقدرة تقديرًا،

(1) أضواء البيان للشنقيطي (6/372)
(2) أدب الموعظة للحمد (86).
(3) لسان العرب لابن منظور (7/74).
(4) الواضح في علوم القرآن للبغا ومستو (181).

تعرض في أسلوب بياني، يعرض العبرة والموعظة، بطرق مؤثرة، تقرب المعنى، يعرضها في قصص شتى عن الماضين من الأنبياء والمؤمنين، كما أن فيه قصصًا عن الكفار والمفسدين[1]، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾ [يوسف: 111]، قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود:120]، وما قصه الله تعالى علينا هو أحسن القصص، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [يوسف:3]، وأحسن القصص قيل إنه مصدر، وقيل مفعول به، وعلى القول الأول يكون المعنى «نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص»، وعلى القول الثاني يكون المعنى «نحن نقص عليك أحسن ما يقص»، أي أحسن الأخبار المقصوصات، والقولان متلازمان في المعنى[2]، وقد اختار الله تعالى القصص لتكون من أعظم أساليب البلاغ العاطفي حيث تلعب دورًا مهمًا في التأثير، يتسق أسلوبها مع أسلوب القرآن العام في إيراد ما هو معروف من الأحداث؛ لتكون الحجة أقوى وألزم[3]، والتأثير العاطفي في القصة يظهر بوضوح من خلال الشخصيات الواقعية التي غالبًا ما تكون رسلًا وأنبياء، أو أقوامًا بشرية، مما يجعل المتلقي للقرآن يشعر بالقرب والارتباط العاطفي بها، فقصة يوسف مثلًا تلقي الضوء على مشاعر الحزن والفقد والأمل والفرج، فتجعل القارئ أو المستمع يعيش تلك التجربة وكأنها جزء من حياته، قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف:100]، وحين يعرض القرآن الصراعات بين الحق والباطل وبين المؤمنين والكافرين، يثير مشاعر التعاطف مع المظلومين كما في قصص الأنبياء الذين واجهوا الظلم والتكذيب كإبراهيم، ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:68]، أو يبرز قيمة الثبات على المبادئ كما في قصة سحرة فرعون بعد إسلامهم إذ أجابوا على تهديد فرعون ووعيده: ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه:72]، كما أن في القصص التي تذكر التقلبات يشد الانتباه، ويثير مشاعر التأمل في حكمة الله وقدرته، كما في التحولات التي ذكرت في قصة موسى من القصر إلى النبوة والمواجهة، وعندما يتعرض الإنسان للشدائد يجد في قصص القرآن قوة تدفعه للصبر والتفاؤل، كما في قصة يوسف، ويغرس القرآن مشاعر الرهبة والخشية من الظلم، كما في قصص فرعون وقارون وعاد وثمود.

وهكذا كانت القصة مثالًا رائعًا للأسلوب العاطفي في البلاغ المبين؛ لأنها تمزج بين الإرشاد والتأثير الوجداني، وتفتح للإنسان نافذة للتأمل في قدرة الله وحكمته، متجاوزة السرد المجرد إلى تجسيد مشاعر

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (3/1319)، والمستفاد من قصص القرآن لزيدان (1/5).
(2) مجموع الفتاوى لابن تيمية (17/19)
(3) التفسير الحديث لعزت دروزة (3/152).

وخبرات، تنقل العبر بأسلوبٍ مؤثر، ما يجعلها مثالًا فعّالًا للأسلوب العاطفي في البلاغ المبين.

كيفية تطبيق القصة في تطبيق الخطاب الدعوي المعاصر:

1 - **التأثير النفسي والعاطفي:** القصة وسيلة فعالة مع جميع الفئات العمرية، تقدم عبرًا مؤثرة تشجّع على الصبر، والثبات، والتوكل على الله، وغير ذلك، ويمكن للدعاة توظيف هذه القصص لمخاطبة مشاعر الجمهور واستمالتها.

2 - **جذب الانتباه وتشويق المستمعين:** استخدام القصص الواقعية أو المستوحاة من الواقع الحديث، يجعل الخطاب الدعوي أكثر جاذبية وحيوية وتفاعلًا.

3 - **توضيح المفاهيم المجردة:** القصة تقرب الفكرة للمدعوين، وتوصل المعاني المعقدة، بطريقة بسيطة ومؤثرة، كما أنها تصل إلى جميع شرائح المجتمع، لا سيما مع وفرة وسائل التواصل الحديثة.

الخاتمة، وفيها أبرز النتائج والتوصيات:

أولًا: النتائج:

- حاجة الدعاة والمؤسسات الدعوية إلى فهم خصائص وأساليب البلاغ المبين في القرآن الكريم، والحرص على تطبيقها في الخطاب الإسلامي المعاصر.
- ضرورة إعادة النظر في أساليب الخطاب الدعوي المعاصر، بحيث يكون واضحًا، مقنعًا، ومتدرجًا، وفقًا لمنهج القرآن الكريم.
- البلاغ المبين ليس مجرد إيصال للمعلومة، بل هو خطاب متكامل يجمع بين البيان القوي، والحجة الواضحة، ومراعاة حال المخاطبين، مع تقديم القدوة الحسنة،
- للقرآن الكريم خصائص وأساليب في البلاغ، ساهمت كثيرًا في توصيل رسالة الإسلام إلى الناس، بوضوح وجلاء، وحققت التوازن بين الإقناع العقلي، والإثراء الروحي.
- تتميز أساليب البلاغ المبين في القرآن الكريم بالقدرة على مواجهة التحديات الفكرية والثقافية، ومواكبة التغيرات، من خلال تنوعها وثباتها ومرونتها، مما يجعلها نموذجًا يمكن تفعيله في الواقع المعاصر، من خلال توظيف الوسائل الحديثة، والاستفادة من الإعلام والتقنية لتعزيز الفاعلية الدعوية، ومواكبة المتغيرات، والتصدي للتحديات الراهنة.
- من أهم أسباب التراجع الديني عند المسلمين اليوم غياب البلاغ المبين، كما قدمه القرآن الكريم، مما أدى إلى ضعف التأثير الدعوي، وتراجع أثر الخطاب الإسلامي في الواقع.

ثانيًا: التوصيات:

- تناول المفاهيم القرآنية ذات الصلة بالعمل الإسلامي المعاصر بالدراسة والتحليل؛ للتعرف على مدى انطباق مسيرتها على منهج القرآن الكريم، وتعبيرها عن رسالة الإسلام بروحه وقيمه الحقيقية، وما قدّمه للإنسانية، مزيلة للصورة القاتمة المنفّرة التي عليها البعض اليوم.

- تدريب الدعاة إلى الله على أساليب البلاغ المبين.
- دمج دراسة البلاغ المبين ضمن المناهج التعليمية، وبرامج تأهيل الدعاة، في المؤسسات الدينية والأكاديمية.
- توظيف الوسائل التقنية الحديثة في تقديم الرسالة الدعوية، لتعزيز فاعلية الخطاب الدعوي المعاصر.

المراجع:

القرآن الكريم.

١. ابن بكر، محمد بكر إسماعيل، ١٩٩٩م (١٤١٩هـ)، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط/٢.

٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، ١٩٩٥م (١٤١٦هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط/٣.

٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، ١٩٨٠م (١٤٩٠هـ)، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٤. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت.

٥. ابن حميد، صالح بن عبد الله بن حميد وآخرون، ٢٠١٢م (١٤٣٣هـ)، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط/٤.

٦. ابن حنبل، أحمد بن حنبل، ٢٠٠١م (١٤٢١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط/١.

٧. ابن عاشور، محمد الطاهر، ١٩٨٤م، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.

٨. ابن عطية، عبد الحق بن غالب، ٢٠٠١م (١٤٢٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١.

٩. ابن قيم، محمد بن أبي بكر، ١٩٩١م (١٤١١هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١.

١٠. ابن قيم، محمد بن أبي بكر، ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، الأمثال في القرآن، تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة، مصر، ط/١.

١١. ابن قيم، محمد بن أبي بكر، ١٩٩٥م (١٤١٥هـ)، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

١٢. ابن قيم، محمد بن أبي بكر، ١٩٧٤م (١٣٩٤هـ)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار السلفية، القاهرة، ط/٢.

١٣. ابن قيم، محمد بن أبي بكر، ١٩٩٦م (١٤١٦هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/٣.

١٤. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ١٩٩٩م (١٤١٩هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط/١.

١٥. ابن منظور، محمد بن مكرم، ١٩٩٤م (١٤١٤هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط/٣.

١٦. الأشقر، عمر بن سليمان، ١٩٩٩م (١٤١٩هـ)، العقيدة في الله، دار النفائس، الأردن، ط/١٢.

١٧. الأصفهاني، الحسين بن محمد، ١٩٩١م (١٤١٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق – بيروت، ط/١.

١٨. البحري، إبراهيم عبد الولي، ٢٠٢٠م، مهارات الاتصال في السنة النبوية من منظور إداري، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان، السودان.

١٩. البغا، مصطفى ديب، ١٩٩٨م (١٤١٨هـ)، الواضح في علوم القرآن، بالاشتراك مع محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب/دار العلوم الإنسانية، دمشق، ط/٢.

٢٠. البغوي، الحسين بن مسعود، ١٩٩٧م (١٤١٧هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/٤.

٢١. البيانوني، محمد أبو الفتح، ١٩٩٣م، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٣.

٢٢. التفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ٢٠٠٢م (١٤٢٢هـ)، دار الفكر، دمشق، ط/١.

٢٣. الثعالبي، محمود عبد الحسين، ٢٠٢٢م، محاضرات في الإعجاز القرآني، ميسان، ط/١.

٢٤. الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، ٢٠٠٢م (١٤٢٢هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/١.

٢٥. الجرجاني، علي بن محمد، ١٤٠٣هـ، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١.

٢٦. جريشة، علي، ١٩٨٧م (١٤٠٧هـ)، مناهج الدعوة وأساليبها، دار الوفاء، ط/١.

٢٧. جميل، أسامة، ٢٠١٠م، لغة الجسد في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

٢٨. حسنة، عمر عبيد، ١٩٨٤م (١٤٠٤هـ)، في فقه التدين فهمًا وتنزيلًا، كتاب الأمة، العدد (٢٢).

٢٩. الحمد، محمد بن إبراهيم، ٢٠٠٣م (١٤٢٤هـ)، أدب الموعظة، مؤسسة الحرمين الخيرية، ط/١.

٣٠. الرازي، محمد بن أبي بكر، ١٩٩٩م (١٤٢٠هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت – صيدا، ط/٥.

٣١. الرازي، أحمد بن فارس، ١٩٧٩م (١٣٩٩هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

٣٢. الرازي، محمد بن عمر، ٢٠٠٠م (١٤٢٠هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/٣.

٣٣. رشيد، محمد رشيد رضا، ١٩٩٠م، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٤. الزرقاني، محمد عبد العظيم، ١٩٤٥م (١٣٦٤هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣٥. الزمخشري، محمود بن عمر, ١٩٨٧م (١٤٠٧هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/٣.

٣٦. الزنداني، عبد المجيد عزيز، ٢٠٠٠م، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المكتبة العصرية، بيروت.
٣٧. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ٢٠٠٠م (١٤٢٠هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط/١.
٣٨. السمعاني، منصور بن محمد، ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، ط/١.
٣٩. السيوطي، جلال الدين، ١٩٧٤م (١٣٩٤هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٤٠. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، ١٩٩٥م (١٤١٥هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
٤١. الشوكاني، محمد بن علي، ١٩٩٤م (١٤١٤هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق – بيروت، ط/١.
٤٢. الصابوني، محمد علي، ١٩٩٧م (١٤١٧هـ)، صفوة التفاسير، دار الصابوني، القاهرة، ط/١.
٤٣. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ٢٠٠٢م (١٤٢٢هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط/١.
٤٤. الصلاحي، أمين نعمان، ٢٠٠٢م، من وسائل القرآن في إصلاح المجتمع، كتاب الأمة، العدد (١٢٧).
٤٥. الطبري، محمد بن جرير، ٢٠٠٠م (١٤٢٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط/١.
٤٦. الطريري، عبد الرحمن، ١٩٩٥م، العقل العربي وإعادة تشكيله، كتاب الأمة القطرية، العدد (٣٥).
٤٧. الطهطاوي، علي أحمد عبد العال، ٢٠٠٤م (١٤٢٥هـ)، عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١.
٤٨. عزت، محمد عزت دروزة، ١٩٦٣م (١٣٨٣هـ)، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٤٩. العنزي، عزيز بن فرحان، ٢٠٠٥م (١٤٢٦هـ)، البصيرة في الدعوة إلى الله، دار الإمام مالك، أبو ظبي، ط/١.
٥٠. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، ١٩٨٧م، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
٥١. القرضاوي، يوسف، ١٩٩٥م (١٤١٦هـ)، العقل والعلم في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، ط/١.
٥٢. القرطبي، محمد بن أحمد، ١٩٦٤م (١٣٨٤هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط/٢.
٥٣. القطان، مناع بن خليل، ٢٠٠٠م (١٤٢١هـ)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط/٣.

٥٤. قطب، سيد، ١٩٩٥م (١٤١٥هـ)، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط/١٧.
٥٥. قطب، سيد، ١٩٩١م (١٤١٢هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت – القاهرة، ط/١٧.
٥٦. قطب، محمد، ٢٠٠٣م (١٤٢٤هـ)، كيف ندعو الناس، دار الشروق، القاهرة، ط/٣.
٥٧. مختار، أحمد، ٢٠٠٨م (١٤٢٩هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط/١.
٥٨. مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة.
٥٩. المطعني، عبد العظيم إبراهيم، ١٩٩٢م (١٤١٣هـ)، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، ط/١.
٦٠. موسى، عبد الحي، ١٩٧٩م، المدخل إلى علم النفس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/٢.
٦١. النسفي، عبد الله بن حمد، ١٩٩٨م (١٤١٩هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط/١.
٦٢. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٣. هيتو، محمد حسن، ٢٠٠٠م، المعجزة القرآنية، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط/3.